مناهج النحاة الهنود في علم النحو كما تنعكس في مؤلفاتهم[1]

عبد الجليل. م [2]

أن العلاقات العربية الهندية لها أبعاد دنينية وثقافية ومعرفية ولغوية وحضارية وتاريخية وأدبية غابرا وحاضرا.وأنّ ظاهرة اللغة العربية في الهند نمت عبر العصور أفقيا وعموديا في بلد لم تكن فيه العربية لغة الحكومة ولا لغة الجماهير إلا في في حقبة وجيزة، ولا تزال فيها جماليات اللغة العربية بكل ألوانها لما لنا لها علماء أجلاء تفرغوا لخدمة العلم حتى قال الإمام محمد عبد الحي الفرنكي محلي:

سهري لتنقيح العلوم ألذّ لي　　من وصل غانية وطيب عـــناق

وتمايلي طربا لحل عويصة　　في الذهن أشهى من مدامة ساقي

وثمّة شيء يستوجب التوقف مليّا بأن إسهامات الهنود والصرف في علم النحو والصرف كثرة كاثرة ، هذه هي جولة يسيرة حول مناهج وإتجاهات المؤلفين في تقديم علم النحو في مصنفاتهم. ولا يشك أحد في انّ تعلم اللغة العربية لا يتم الا بإكتساب علم النحو لما أنه جزء لا يتحزأ من تعلم اللغة، لأنّ علم النحو له علاقة وطيدة للغة ودلالتها، والدلالة تختلف كلما يختلف الإعراب والبناء والتركيب،ولا يستطيع الانسان تحصيل العلوم الأخرى إلا بعد إلمام بعلم النحو، ولا يستطيع قراءة الكتب ومطالعتها وفهم ما فيها من العلوم والدرايات الا بمعرفته، وأنشد عمر بن المظفر الوردي في مقدمة أرجوزة التحفة :

وَبـــعدُ فالجاهلُ بالنحو احتقر　　إذ كلّ عـــلـــم فإليه يفتقـــر

ولا نستطيع أيضا تحقيق معاني الكلمات وتركيبها وإعرابها وبنائها، وربما يتركون ما هو أهم منها لعدم الإلمام بعلم النحو، وقد أنشد بعضهم:

ومَـــن طلبَ العـــلومَ بغـــيْر　　نحْو كعنّين يعالجُ فرْجَ بكْر

ومن هذا المنطلق بدأت وتطورت دارسة النحو في الهند. واللذي أريد في تقديمي المتواضع سرد المنهج التأليفي للكتب النحوية التي ألفت في الهند .ربما يكون هناك عثرات وثغرات لما كان هذا المجال بحرا واسعا متلاطما، هذه المناهج تنحصر كما تلي :

---

[1] عنوان الباحث " مناهج تأليف الكتب النحوية في الهند"

[2]. باحث في قسم العربية بجامعة كاليكوت

المنهج القياسي

ويسمى أحيانا طريقة القاعدة تبدأ هذه الطريقة بعرض القاعدة ثم تعرض الأمثلة بعد ذلك لتوضيح القاعدة. ومعنى هذا إن الذهن ينتقل فيها من الكل إلي الجزء. وتأتي فكرة القياس في هذه الطريقة من حيث فهم التلاميذ للقاعدة ووضوحها في أذهانهم ومن ثم يقيس المعلم أو التلاميذ الأمثلة الجديدة الغامضة على الأمثلة الأخرى الواضحة وتطبيق القاعدة ومن هذا القبيل كتاب "القطبي" لمولانا الهداد بن كمال اللكهنوي وكثيرا من الكتب النحوية.

المنهج الإستقرائي

وتقوم هذه الطريقة على البدء بالأمثلة تشرح وتناقش ثم تستنبط منها القاعدة، وهذا يتضمن هذه الخطوات -المقدمة – عرض الأمثلة- الموازنة وتسمى الربط أو المناقشة وتناول الصفات المشتركة والمختلفة- استنباط القاعدة : من خلال المناقشة والموازنة – التطبيق على القاعدة، كانت بعض الكتب النحوية على هذا المنهج بعد شهرة النحو الواضح لمصطفى أمين وعلى الجارم ومن أمثلة هذا المنهج كتاب دليل المعلم في الصرف والنحو والبلاغة والانشاء الذي اصدرته حكومة كيرلا وكتاب الصرف الواضح للأستاذ عبد القادر الفيضي والأستاذ عبد الله الدارمي من قبل مجلس التعليم الاسلامي بكيرلا.

المنهج الكلي (Holistic approach) بربط القواعد بفروع اللغة الأخرى

أن العلاقة بين قواعد النحو وفروع اللغة الأخرى علاقة وثيقة,وهذا يساعدنا لتصويب أخطاء النطق في القراءة والنصوص والإملاء والخط وكثير من قواعد البلاغة يعتمد على علم النحو وبعض الأقيسة المنطقية ايضا يعتمد على علم النحو، ولذلك نرى في كثير من مؤلفات الهنود في العربية التحول من المنطق الى علم النحو وبالعكس والتحول من النحو الى البلاغة والتحول من علم القراءة الى النحووما يماثلها، ومن هذا القبيل كتاب "اعراب الاعراب على أخدان الطلاب" لمحمد الباقوي الفوكوتوري.

المنهج الموسوعي والمنهج القاموسي

ومن هذا القبيل "العباب الزاخر في اللغة" لرائد النحاة الهنود الشيخ حسن بن محمد الصاغاني اللاهوري والذي اعتبر كالسفير اللغوي بين الهند والبلاد العربية في دولة المماليك. نرى هذا الكتاب في عشرين مجلدا، رتبت فيه المادة اللغوية من أولها الى آخرها بحسب الأصل الأخير للكلمة مع مراعاة الأصل الأول أيضا. والمراد بالمنهج القاموسي حل

الكلمات والمفردات من الناحية النحوية والصرفية من حيث القواعد والأصول والإعلال والابدال ومن هذا القبيل كتاب "حلّ اللغات القرانية "لمولانا محمد شاكر اللكهنوي.

منهج التخصص في مبحث خاص

هناك تأليفات بقصد التخصص في مباحث خاصة تحت علم النحو، ومنها النوادر في اللغة والتراكيب للشيخ حسن بن محمد الصاغاني اللاهوري والإرشاد للشيخ القاضي نصير الدين الجونفوري في مبحث المفردات والجمع،وأن "وسيط النحو "للشيخ تراب على الخيرابادي كشف جامع للمؤنث المعنوي و"رسالة في النحو للحكيم أحمل بن محمود الدهلوي بحث جامع عن الاسماء التي تمنع من الصرف.

منهج التلخيص والاختصار

وألفوا بعض الكتب لاختيار قاعدة من القواعد ما له أهمية ووظيفة ، وفائدة في الكلام في حالة ولاداعى إلى كثرة التفصيلات ، وسرد المذاهب المختلفة ، وحفظ الصيغ المعهودة، إختصروا بعض الكتب مصفاة من الشوائب والاختلافات،وبقصد الفرار من العلل الزائفة وتعدد الأراء الضارة في المسألة الواحدة، التلخيص والاختصار في التأليف كثيرة في المؤلفات النحوية الهندية. فكل لغات العالم لها قواعدها وأحكامها ، وأصولها ، وليست العربية بدعا فيما تشتمل علية من قواعد ، ولكن أهم ما ينبغي أن نعنى به أن نحسن اختيار المباحث النحوية الملائمة لمستوى نمو الدارسين ، ومطالبهم اللغوية ربما اختصروها بهذا الصدد أيضا.ومن هذا القبيل كتاب خلاصة النحو للشيخ محمد رشيد بن مصطفى العثماني الجونفوري وزبدة النحو للمولوي محمد حسين المشلي شهري وغيرها.

المنهج المعنوي

هذا القبيل من الكتب النحوية في الهند يتناول الفروق المعنوية عند استعمالاتها المختلفة مثل أعمال أن مفسرة أو زائدة أو مصدرية ..الخ ومن هذا القبيل "دراسة الألفاظ النحوية" لمحمد الباقوي الفوكوتوري، وسنجد في معظم مؤلفات الهنود الهندية بحثا شاملا وبيانا وافيا على حروف المعاني وأنواعها المختلفة من أحادية وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية.

الإتجاه الوظيفي

الاتجاه في تعليم القواعد نحو الوظيفية ، ونعنى بذلك أن نتخير من النحو ما له صلة وثيقة بالأساليب التى تواجه التلميذ في الحياة العامة ، أو التي يستخدمها وأيضا نرى فيه تعليم

اللغة تكلما وتحادثا وكتابة حسب القوانين بغير أن يلفتهم الى القواعد بالذات فاطالب يستخدم اللغة صحيحامع أنه لا يعرف القواعد النحوية كما يتكلم لغته الأم.

منهج الترجمة

أن طريقة الترجمة الى اللغات المحلية لتعليم القواعد ايضا سائدة في الهند ومنها ترجمة النحو الواضح ليم تي محمد اريكوت وبيان الاعراب لعبد السلام محمد اريكوت وترجمة شواهد الألفية وزنجان ليم كى اسماعيل المسليار.

الاتجاه الادبي في تقديم القواعد

ومن هذا القبيل "نهج الأدب في النحو والصرف "للحكيم نجم الغني الرامبوري وميزة هذا الكتاب في ايراد الأمثلة من القطعة الأدبية الجذابة الخلابة وايراد الشواهد كافة من الشعر كي يكون ذلك مادة أدبية للطالب الى جانب تمرسه بقواعد لغته الشريفة.

طريقة الشرح والتفصيل

هذه من الطريقة التي اعتمدوها النحاة الهنود في تأليف كتبهم على الصعيد الوطني، أن اختيار طريقة الشرح تتوقف على عدة عوامل منها :مدى صعوبة أو سهولة القاعدة النحوية التي سيتم شرحها، ومستوى الفروق الفردية عند الطلاب والتي من خلالها يتم اختيار الاسلوب الانسب لطرح الدرس، أن الكتب النحوية عديدة تحت هذا العنوان ومنها:حاشية على شرح الجامي وشرح ارشاد النحو للقاضي شهاب الدين لمولانا عبد النبي الأكبرابادي وشرح الكافية لمولانا محمد جميل الجونفوري والباكورة الشهية في شرح الألفية للقاضي ظفر الدين اللاهوري وتكملة الميزان وشرحه للشيخ مولانا عبد الحي اللكهنوي ومقرب النحو للشيخ محمد بن يوسف السورتي، وأن النحاة في مليبار انتهجوا هذا المنهج كثيرا في مؤلفاتهم، وقد أنجبت مليبار جمعا غفيرا من النحاة النابغين، ذاع صيتهم في الآفاق، قد ألفوا في النحو العربي أحسن الكتب وأروعها وأتقنها وأجودها، وكتبوا الشروح والحواشي والتعليقات لعديد من أمهات الكتب النحوية، وفي القرن التاسع نشأت المدرسة المخدومية ببلدة فنان، وقد تخرج فعلا من المدرسة المخدومية جمع غفير من الأعلام الأجلاء، وجدير بالذكر أنّ أكبر نحوي شهدته مليبار بالاطلاق هو الشيخ زين الدين المخدوم الكبير لا غير، لأنّ كتابه شرح الالفية اشتهر شهرة واسعة، وهو شرح متين وصل إلى باب الإضافة، وكمله ابنه عبد العزيز، وشرح على كافية ابن الحاجب، وله شرحان – كبير وصغير– على التحفة، هناك كتب أخرى

بهذا الصدد مثل عين الهدى شرح قطر الندى للشيخ عثمان بن جمال الدين المعبري الفناني ورسالة في النحو للشيخ زين الدين الأخير وحاشية مفيدة على شرح العلامة زين الدين المخدوم الكبير على تحفة الإمام عمر بن المظفر الوردي للشيخ محمد بن علي الفناني وكتاب النحو، وكتاب الصرف، وكتاب النحو الكبير، وكتاب اللغة العربية للشيخ شاليلاكات كنج أحمد حاجي وحاشية على شرح الشيخ عثمان على قطر الندى لابن هشام للعالم الفاضل عبد القادر بن يوسف بن الفضفري وتلميح الفوائد النحوية في بيان الحواشي الألفية للشيخ أبو محمد سيد على باوا مسيار الويلتوري وكتب محمد مسليار الباقوي الفوكوتري.

الاتجاه البحثي

يقتضينا تصحيح المنهج النحوي الاجتهاد بمعنييه: اللغوي والاصطلاحي، وأن ميدان الإنشاء والتعمير النحوي لم ينفتر في الهند وقاموا بإجتهادات جديدة في النحو على سبيل المثال مبحث الأوزان المولدة في القرآن في كتاب "مرغوب الطالبين" للشيخ حسن بن داود البنارسي.

إتجاه النحاة الهنود نحو المدارس النحوية

النحو العربي ينقسم رئيسيا إلى مذهب بصري وكوفي، ولكلّ من هذين المذهبين ميزات وآراء خاصة في بعض المسائل النحوية، وقد جرت بين أصحاب هذين المذهبين مناظرات نحوية طويلة ومشاجرات كثيرة، وكان البصريون يعتمدون في المسائل النحوية على السماع دون القياس، وأما الكوفيون فكانوا بالعكس حيث يعتمدون على القياس ويرجحون القياس على السماع، أن أكثر الكتب النحوية في الهند يخلو من التعصب لمذهب نحوي ولكن نرى في بعض الأحيان التعصب لمذهب كما نرى في كتاب مختصر في النحو للشيخ أشرف جهانكير السمناني، وفي نفس الوقت أن "مفتاح الصرف وشرح المذاهب في الكلام للشيخ عبد الوهاب الراجكيري جهد نفيس للموازنة بين أراء البصريين والكوفيين ومن تلاهما من النحاة في اقطار العربي.

منهج النظم

وقد نظم الشيخ القاضي محمد بن عبد العزيز الكاليكوتي في النحو قطر الندى لابن هشام، والعوامل للجرجاني ونظم محمد مسليار الكودانجوري مرقاة النحو)نظم العوامل (ومنظومة في العوامل النحوية للشيخ عبد القادر بن خير الدين الجونفوري وهؤلاء النحاة لم يقوموا بنظمها إلا لحفظ أبياتها، وليس هذا الا بالنظر الى أهمية القواعد النحوية وضرورة

استحضارها عند الحاجة، لأنّ حفظ أبياتها يساعد كثيرا لاستحضار القواعد بسهولة عند الحاجة إليها

منهج المقارنة

وقد أضاف النحاة الهنود المعاصرون محاولة جادة بناءة لم يسبق إليه هي الدراسة التحليلية التي تحاول بمقارنة النحو العربي مع النحو الانجليزي ، طبعا هذه طفرة في هذا الصدد، وأن كتاب الدكتور بشير أحمد "مقارنة بين النحو العربي والانجليزي :دراسة تطبيقية "جهد عظيم في مقارنة علم النحو للغتين التي تنتميان الى أسر مختلفة كل الاختلاف . وكتاب "الترجمة من الانجليزية الى العربية -مناهجها وأصولها "للدكتور معين الدين الأعظمي خطوة مستحسنة أيضا لما ان هذا الكتاب يحتوي على معلومات جديدة حول منهجية الترجمة على أساس علم النحو العربي والانجليزي.

هذه محاولة يسيرة حول مناهج الكتب المؤلفة في الهند في علم النحو، فإن هذه الدراسة مكتفية برسم الإطار العام، فإنني آمل أن هذه الدراسة – إن شاء الله – ستكون مقدمة لدراسات أوسع، والله المستعان.

المراجع الهامة

- العلامة السيد عبد الحي الحسني اللكنوي، نزهة الخواطر
- محي الدين الآلوائي ، الدعوة الاسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية،دار السلام، دمشق1971
- محمد الباقوي الفوكوتوري، اعراب الاعراب على اخدان الطلاب
- كتاب دليل المعلم في الصرف والنحو والبلاغة والانشاء الذي اصدرته حكومة كيرلا
- وكتاب الصرف الواضح للأستاذ عبد القادر الفيضي والأستاذ عبد الله الدارمي
- يم تي محمد اريكوت، ترجمة النحو الواضح
- عبد السلام محمد اريكوت، بيان الاعراب
- محمد الباقوي الفوكوتوري، دراسة في ألالفاظ النحوية
- مجلة كاليكوت، المجلد الثاني يونيو 2010

□ □ □